

ولكن لا تحبون الناصحين

د. محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون، يقول الله سبحانه وتعالى في سيدنا صالح مع قومه: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿١٠٧﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ وقال سبحانه عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١٠٩﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ ﴿١١٠﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١١١﴾ فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١٢﴾﴾ وروى الدارمي في سننه قال مر سليمان بن عبد الملك في المدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياماً، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له: أبو حازم، فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء، قال له أبو حازم: وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني، قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك، قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري، قال: أصاب الشيخ وأخطأت، قال سليمان: يا أبا حازم، مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخرجتم آخرتكم وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غداً على الله سبحانه، قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان، وقال: ليت شعري مالنا عند الله؟ قال اعرض عملك على كتاب الله، قال وأي مكان أجد قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٠٥﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٠٦﴾﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال أبو حازم: إن رحمة الله قريب من المحسنين، قال له سليمان: يا أبا حازم فأبي عباد الله أكرم قال: أولي المروءة والنهي، قال له: يا أبا حازم فأبي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال سليمان: فأبي الدعاء أسمع؟ قال: دعاء المحسن إليه للمحسن، قال: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى، قال: فأبي القول

أعدل؟ قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه، قال: أي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليه، قال: فأبي الناس أحق؟ قال: رجل حط في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنياه غيره، قال له سليمان: أصبت."

أيها المسلمون، النصيحة كلمة طيبة تخرج من قلب مخلص مشفق على الآخر، في أي موقع كان أحدهما، وفي أي موقع كان الآخر، فنصح ولي الأمر للرعية شفقة منه وإخلاص، ونصح الرعية لولي الأمر شفقة منهم وإخلاص، وأحق الناس بالنصح من يعم خيره أو ينتشر شره، والنصيحة ديننا، ألم يقل النبي ﷺ الدين النصيحة، ومنهجنا ورؤية شرعية يبتغي بها الخير لمن ينصح، ولذلك فإنه جدير بالناصح أن يكون حاله أبلغ في النصيحة من مقاله، لا أن يكون ثمة ازدواج بين حاله ومقاله، حاله في واد ومقاله في وادٍ آخر، بل أن يكون مقاله ترجمة لحاله، لن يكون للنصح أي أثر إلا عندما يتجرد الناصح عن غرض دنيوي لنفسه، وقد وصف الله تعالى بعض من نصحوا على لسان صالح عليه الصلاة والسلام عندما تحدوه وكذبوه وأعرضوا عن نصحه فهلكوا، قال: ﴿لَقَدْ أُنبِغْتُمْ رَسُولًا رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ العاقل هو من نظر إلى النصيحة فاتعظ به وتأمل صدق النصيحة فأخذ بها، لا الذي يتأثر بتملق المتملقين ومديح المادحين وثناء المثمين، المخلص لك هو من أراك عيوبك بينك وبينه، وليس من شأن الناصح أن يفضح، ولا أن يتبجح بنصحه. الناصح هو من كان ملء قلبه الشفقة وكان منطلقاً عن علم، وكان لا يريد إلا الخير للمنصوح، الناصح الحق هو الذي يريد الخير العاجل والآجل لصاحبه عن معرفة وعن علم سواء كان المنصوح رعية أم راعياً.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا صدق الكلمة والإصغاء لكلمة الحق والعمل بمقتضاها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين

خطبة الجمعة 2016/04/22